سياسة الملك عبدالعزيز تجاه إجراءات الحجر الصحي الدولية

د . فهد بن عبدالله السماري *

ارتبط تطور الخدمات الصحية في المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - بثلاثة عوامل رئيسة كان لها الأثر في سير ذلك التطور ونتائجه ، ويتمثل العامل الأول في الحالة الصحية في الجزيرة العربية التي كانت سيئة بسبب انعدام الخدمات الصحية الضرورية وقلة الإمكانات المتعلقة بها . ويعد الحج العامل الثاني الذي كان له الأثر الكبير في تطور الأوضاع الصحية وذلك بسبب وفود الأعداد الكبيرة من المسلمين من كل مكان واجتماعهم في المشاعر المقدسة وما يترتب على ذلك من وجود بعض المشكلات الصحية التي تتطلب توافر خدمات صحية متقدمة لمواجهتها . ويعتبر نظام الحجر الصحي الدولي أثناء موسم الحج الذي فرض في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي العامل الثالث الذي أسهم في تطور الخدمات الصحية في المملكة العربية السعودية في تلك الفترة المبكرة .

* بكالوريوس في التاريخ من كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠٠هـ .
- ماجستير ، جامعة كاليفورنيا بأمريكا ١٤٠٦هـ .
- دكتوراه ، جامعة كاليفورنيا بأمريكا ١٤١٠هـ .
- يعمل حاليًا أمينًا عامًا لدارة الملك عبدالعزيز في الرياض .

ويعد العامل الأخير وهو مسألة الحجر الصحي الدولي والإجراءات المرتبطة به أثناء موسم الحج من أهم التحديات التي واجهت الملك عبدالعزيز في بداية تأسيس الدولة السعودية، باعتبار ذلك تدخلاً مباشراً في شؤون الدولة الداخلية ، ومنطلقاً، لإزعاج الحجاج القادمين إلى الحجاز . ولإلغاء تلك الإجراءات الدولية المتعلقة بالحجر الصحي اتخذ الملك عبدالعزيز عدداً من الخطوات والسياسات والمواقف التي نتج عنها تطور الأوضاع الصحية في المملكة العربية السعودية ، ووصولها إلى مستوى القبول الدولي الذي أدى إلى إنهاء تلك الإجراءات .

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهم جوانب تلك الجهود نظراً لأهميتها ولارتباطها بموضوع أشمل وهو تطور النواحي الصحية للمملكة العربية السعودية في فترة تاريخية مبكرة . ومن أجل تحقيق ذلك فإن هذه الدراسة سوف تتناول نظام الحجر الصحي الدولي ، وتوقيع الاتفاقية الدولية لعام ١٩٢٦م وتطور التنظيم الإداري والقانوني للشؤون الصحية في المملكة العربية السعودية، وأخيراً دراسة موقف الملك عبدالعزيز من الإجراءات الصحية الدولية المفروضة على الحج ، وسياسته التي انتهجها لتحقيق الهدف الرئيس وهو إلغاء تلك الإجراءات .

وعلى الرغم من وجود بعض الدراسات التي تناولت موضوع الانجازات الصحية في المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز إلا أن ارتباط ذلك بقضية الحجر الصحي الدولي وما ترتب عليه من نتائج ومواقف لا يزال بحاجة إلى المزيد من الدراسة والتحليل .

ومن الدراسات السابقة حول هذا الموضوع بحث باللغة الإنجليزية بعنوان

"الجوانب الصحية الدولية للحج International Health Aspects of Hajj" أعده ديفيد لونغ David Long للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية التي عقدتها جامعة الرياض (الملك سعود حاليًا) في عام ١٣٩٧هـ (١) ويتناول هذا البحث الخلفية التاريخية - بصورة موجزة - لتطور مسألة الإشراف الدولي على النواحي الصحية في موسم الحج ونتائجها . وتتميز دراسة لونغ هذه - رغم اختصارها الشديد - بإثارة هذا الموضوع المهم وجذب الانتباه إليه لدراسته بالتفصيل .

والدراسة الأخرى أعدها كل من يوسف بن عبدالله الحميدان ومحمد بن أحمد العيسى بمناسبة المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض في عام ١٤٠٦هـ وذلك بعنوان "الإنجازات الصحية في عهد الملك عبدالعزيز من عام ١٣١٩-١٣٧٣هـ" (٢) ويركز هذا البحث على الاستعراض السريع لأهم القرارات والأنظمة والإنجازات المتعلقة بالنواحي الصحية من بناء مستشفيات أو تنظيم الإدارات الصحية المختلفة ، دون الإشارة إلى الجوانب الأخرى المتعلقة بالحجر الصحي الدولي والترتيبات المتصلة به التي كان لها أثر ملحوظ في تطور الأوضاع الصحية في المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز .

(١) David E. Long. "International Health Aspects of the Hajj دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الأول : مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الثاني ص١٨٣- ١٩٥ (القسم الإنجليزي) الرياض : جامعة الرياض ، ١٣٩٩هـ .

(٢) يوسف بن عبدالله الحميدان ومحمد بن أحمد العيسى . "الانجازات الصحية في عهد الملك عبدالعزيز من عام ١٣١٩ - ١٣٧٣" بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٦هـ .

وهكذا نلحظ قلة الدراسات التي تناولت تطور الأوضاع الصحية في عهد الملك عبدالعزيز عمومًا وغياب الدراسات المباشرة حول موضوع الحجر الصحي. ولأهمية هذا الموضوع فإن هذه الدراسة سوف تركز على تطور الحجر الصحي الدولي أثناء موسم الحج ، والجهود الرامية إلى إلغائه ، وأهم النتائج التي ترتبت على ذلك من تطور في البناء التنظيمي والمؤسسي للنواحي الصحية في المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز .

أولاً : نظام الحجر الصحي الدولي : خلفية تاريخية

يرجع تاريخ الحجر الصحي في العصر الحديث إلى القرن الخامس عشر الميلادي ، حينما أسست حكومة البندقية محجراً صحيًا في عام ١٤٢٣م على إحدى الجزر القريبة من المدينة . وأصبح ذلك المحجر أنموذجًا للدول الأخرى في القارة الأوروبية التي اتجه معظمها إلى تأسيس محاجر مماثلة من أجل منع امتداد الأمراض الوبائية القادمة من المناطق الواقعة خارجها . وفي القرن التاسع عشر الميلادي برزت مشكلة صحية جديدة تمثلت في انتشار وباء الكوليرا الذي وصل إلى أوروبا وأمريكا الشمالية . وزعمت المصادر الصحية لتلك الدول أن منطقة الحجاز كانت مصدر ذلك الوباء ، بسبب موسم الحج الذي يجمع الآلاف من المسلمين من كل مكان ، ويتيح الفرصة - في غياب نظام صحي مناسب - لانتشار الأمراض وإيصالها إلى بقية المناطق في العالم [٣] .

ونتيجة لذلك الاعتقاد اتجهت الدول الأوروبية إلى تأسيس بعض الهيئات الخاصة بالمحاجر الصحية في عدد من الأماكن في العالم العربي . ومن أوائل

(٣) Records of the Hajj ADocumentary History of the pilgrimage to Mecca (Archive Editions, 1993) Vol. 9.

تلك الهيئات "مجلس الحجر الصحي المصري" الذي أسس في عام ١٨٣١م ، وأصبح بعد ذلك يعرف باسم "مجلس الصحة البحرية والحجر الصحي في مصر Le Conseil Sanitaire Maritime et Quarantenire d'Egypte" الذي كان يشرف على الأوضاع الصحية في منطقة البحر الأحمر تحت إدارة الممثلين الأجانب في مصر . وتحت ضغط الدول الأوروبية أنشأ السلطان محمود الثاني" مجلس القسطنطينية الصحي العالمي" في عام ١٨٣٩م بإدارة الممثلين الأجانب في القسطنطينية للإشراف على الأوضاع الصحية في المشرق العربي وبقية المناطق الخاضعة للدولة العثمانية ، إلا أنه لم يكتب لذلك المجلس النجاح المطلوب ، وتم إلغاؤه بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة .

كما واصلت الدول الأوروبية محاولاتها لفرض نظام صحي دولي يتم من خلاله التحكم في الشؤون الصحية للدول الأخرى ، حتى يتم التخلص من انتشار الأوبئة ، وذلك عن طريق اتفاق دولي يحدد الإجراءات الخاصة بمسائل الحجر الصحي الدولي . وفي عام ١٨٥١م نجحت تلك الدول في عقد أول مؤتمر عالمي لمناقشة مسائل الوقاية الصحية وذلك في مدينة باريس . وبعد ستة أشهر من المفاوضات تم التوصل إلى ميثاق من ١٣٦ مادة لم يتم الاتفاق بشأنها ، بسبب خشية بعض الدول الأوروبية على مصالحها التجارية التي ربما يؤثر عليها فرض نظام المراقبة الصحية المقترح .

استمر عقد المؤتمرات العالمية لمناقشة مسألة الصحة والحجر الصحي منذ عام ١٨٥٩م وحتى عام ١٩٢٦م ، الذي تم التوصل فيه إلى الصيغة النهائية للاتفاقية الصحية الدولية التي اعتمدت في الأساس على الاتفاقيات السابقة ومن أهمها اتفاقية عام ١٩١٢م . وأصبحت الاتفاقية الصحية الدولية الموقعة

في عام ١٩٢٦م الأساس الذي انطلقت من خلاله الإجراءات المتعلقة بالحجر الصحي أثناء الحج التي خُصص لها جزء مستقل بسبب الاعتقاد الأوروبي السائد حول المنطقة من حيث انتشار الأوبئة والأمراض (٤) .

ويتكون ذلك القسم الخاص الذي يسمى بـ "الشروط الخاصة بشأن الحج" من ثلاثة أجزاء رئيسة ، كل جزء منها يحتوى على عدد من الفقرات التفصيلية التي يصل عددها إلى ٧١ مادة . يتناول الجزء الأول من ذلك القسم توجيهات عامة تؤكد على الاحتياطات اللازمة لتلافي انتشار الأوبئة . وفي القسم الثاني تم التركيز على الأنظمة الوقائية الخاصة بسفن الحجاج ، من حيث أجهزتها الصحية ، والفريق الطبي المرافق ، والإجراءات الخاصة قبل المغادرة وأثناء السفر وعند الوصول . وتشير الإجراءات في هذا الجزء إلى أن سفن الحجاج القادمة من الجنوب والمتجهة إلى الحجاز ، يجب أن تتوقف في جزيرة كمران وتمر بالإجراءات الصحية الوقائية في المحجر الصحي فيها . ويفرض ذلك النظام على السفن التي يشتبه في وجود أوبئة فيها ، بأن يطلب من الحجاج الاستحمام ، وأن يتم تطهير الملابس والمواد الموجودة على متن السفينة وذلك لمدة ٤٨ ساعة . وبالنسبة للسفن التي يوجد عليها أوبئة فإن الحجاج الموبوئين يتم عزلهم في مستشفى خاص وذلك لمدة خمسة أيام لوباء الكوليرا وستة أيام لوباء الطاعون . أما السفن القادمة من الشمال فتتجه نحو الطور حيث المحجر الصحي الآخر، ويتم تطبيق الإجراءات نفسها التي أشير إليها سابقاً . كما تتضمن الشروط أيضًا تطبيق الإجراءات نفسها على السفن العائدة إلى مواطنها بعد انتهاء موسم الحج وذلك عن طريق كل من الطور وكمران.

---

(٤) David Long. "International Health" PP. 183 - 188 .

وفي الجزء الثالث من ذلك القسم تم تحديد العقوبات التي تفرض على المخالفين للإجراءات المذكورة . كما نصت الاتفاقية على إعداد تقرير سنوي حول الأوضاع الصحية في الحج بواسطة المجلس الصحي البحري والحجر الصحي في مصر (٥). وأسند موضوع متابعة تطبيق هذه الاتفاقية إلى المكتب الدولي للصحة العامة في باريس Offic International d'hygiene Publicque الذي تأسس في عام ١٩٠٧م .

ونلحظ من خلال استعراض بنود الاتفاقية الصحية الدولية المتعلقة بالحج أن محجري الطور وكمران في البحر الأحمر أصبحا يمثلان المركزين الرئيسين لتنفيذ الترتيبات الصحية الدولية المخصصة للحجاج الذين تعرضوا نتيجة لذلك للإزعاج والتأخير من جراء التفتيش الدولي باسم الوقاية الصحية .

وفي الوقت الذي تم التوقيع فيه على الاتفاقية الصحية الدولية في عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م أصبح الحجاز جزءاً من الدولة السعودية تحت حكم الملك عبدالعزيز . وبذلك دخلت المنطقة مرحلة جديدة اتسمت بالنشاط الدائب لتغيير الأوضاع الصحية فيها، وللتغلب على المشكلات المتعلقة بها ، إلى جانب إلغاء تلك القيود التي فرضتها الاتفاقية الدولية .

ثانيًا : تنظيم الشؤون الصحية والحجر الصحي في عهد الملك عبدالعزيز

كانت الأوضاع الصحية في منطقة الحجاز في عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م متدنية نظراً لعدم وجود الخدمات الصحية الكافية ، رغم توافر بعض

---

(٥) "International Sanitary Convention 1916" Records of the Hajj : A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca (Archive Editions, 1993) Vol. 9 PP. 579 - 581 .

المستشفيات الصغيرة التي تم تأسيسها أثناء الحكم العثماني ، مثل مستشفى القبان ومستشفى أجياد [٦] . فلقد ساءت الأوضاع الصحية في عهد الشريف عون الرفيق (١٢٩٩ - ١٣٢٣هـ) ، وازدادت سوءاً وضعفًا في عهد الشريف حسين بن علي (١٣٢٦ - ١٣٤٣هـ) ، مما أدى إلى إغلاق بعض الأماكن الصحية ، خصوصًا مستشفى أجياد الذي ظل كذلك حتى استقرت الأحوال في عهد الملك عبدالعزيز وتم ترميم المستشفى وأعيد فتحه . ولقد أعطى ذلك الوضع الصحي في الحجاز خلال عهد الأشراف الفرصة لفرض الإجراءات الصحية الدولية . ولمواجهة تلك الأوضاع الصحية السيئة التي كانت تمثل أهم التحديات بالنسبة للملك عبدالعزيز تم إعطاء الجانب الصحي الأولوية في البرنامج التطويري للدولة السعودية . ولقد شملت سياسة الإصلاح الصحية الإجراءات الإدارية والأنظمة المتعلقة بالشؤون الصحية والاتصالات الدولية والاستفادة من خبرات المتخصصين وإنشاء المشروعات الصحية المختلفة . ولكي نصل إلى فهم واضح لتطور تلك الجهود فإنه سوف يتم عرضها من خلال جوانبها الرئيسة الآتية :

*** التنظيم الإداري والقانوني للشؤون الصحية**

بدأ الملك عبدالعزيز جهوده في مجال الصحة باتخاذ الإجراءات الإدارية والتنظيمية المناسبة للرفع من مستواها البنائي أولاً . وذلك منذ لحظة دخوله مكة المكرمة ، حيث كلف طبيبه الخاص الدكتور محمود حمدي حمودة بإعادة تنظيم الدوائر الصحية والإشراف عليها [٧] . ويبدو أن الدكتور حمودة كان

---

(٦) فؤاد حمزة . البلاد العربية السعودية (الرياض: مكتبة النصر ، ١٣٨٨هـ) ص ٢٠٦ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

نشطًا في مجال اختصاصه ، حيث قام بنشر العديد من التوجيهات الصحية والنصائح الطبية عبر جريدة أم القرى الرسمية (٨) . كما نشر الدكتور حمودة عدداً من المقترحات بشأن تطوير الجوانب الصحية في مكة المكرمة التي يبدو منها أن الأوضاع الصحية كانت متدنية جداً في بداية العهد السعودي (٩) .

فلقد أشارت تقارير الجهات الصحية في مكة المكرمة خلال عام ١٣٤٣هـ إلى أن الإمكانات المتعلقة بالجانب الصحي لم تكن على مستوى القبول على الإطلاق في ذلك الوقت . ففي تقريرها عن الحالة الصحية لحج عام ١٣٤٣هـ أشارت إدارة الصحة العامة التي تم تأسيسها في عام ١٣٤٣هـ في مكة المكرمة إلى أن الأوضاع كانت مرضية ولكن نقص الأجهزة والمستشفيات والأطباء وعدم نظافة المياه كانت عائقًا كبيراً أمام تحسن الأوضاع الصحية عمومًا (١٠) . ومن القرارات التي اتخذها الملك عبدالعزيز في الأشهر الأولى بعد دخوله مدينة جدة تعيين الدكتور خيري بك القباني مفتشًا عامًا للصحة ووكيلاً لإدارة الصحة العامة (١١). كما قرر الملك عبدالعزيز إقالة مفتش المحاجر الصحية العام محمد باشا الحسيني وتعيين الدكتور خيري بك القباني بالوكالة - إضافة إلى عمله الآخر - بديلاً له لأهمية ذلك الموقع الذي يحتاج إلى تطوير وتجديد لمواجهة الظروف الصحية التي تتركز قضاياها في الحجر الصحي (١٢).

(٨) نشر الدكتور حمودة سلسلة من المقالات بعنوان "لحفظ الصحة" في أم القرى ، العدد ٤ (٧ جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ) وبعض الأعداد التي تلت ذلك .

(٩) الدكتور محمود حمودة . "التدابير والتشكيلات الصحية" أم القرى العدد ١١ (٢٦ رجب ١٣٤٣هـ) ص٤.

(١٠) أم القرى العدد ٢٩ (٢٥ من ذي الحجة ١٣٤٣هـ) ص ٣ .

(١١) أم القرى العدد ٥٢ (١١ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ) ص ٤ .

(١٢) أم القرى العدد ٥٤ (٢٣ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ) ص ٣ .

ومن الخطوات المهمة في هذا الجانب فصل إدارة الكرنتينات (الحجر الصحي) عن مديرية الصحة العامة في عام ١٣٤٥هـ لإعطائها الاهتمام المطلوب .

وفي السابع والعشرين من شهر شعبان ١٣٤٤هـ أصدر الملك عبدالعزيز أمره بإنشاء "مديرية الصحة والإسعاف" ومقرها في مكة المكرمة وربطها بنائب جلالة الملك في الحجاز لأهميتها. كما تضمن الأمر الملكي المصادقة على ميزانية الصحة العامة وما احتوت عليه من مشروعات صحية جديدة، من بناء مستشفيات ومراكز طبية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة وينبع والطائف [١٣]. كما أصدر الملك عبدالعزيز أوامره إلى الوكالة في مصر لشراء سيارتين للإسعاف وآلة تبخير لمستشفى مكة المكرمة [١٤] . ومن التنظيمات الجديدة التي اتخذها الملك عبدالعزيز في هذا الجانب أيضًا إصداره توجيهات عامة تتعلق بالتدابير والإجراءات الصحية للحجاج ، من أهمها توفير أسماء الحجاج وأماكنهم لإدارة الصحة العامة والتبليغ عن أي حالة مرضية تنشأ بين الحجاج وتحذير جميع المطوفين من مخالفة تلك التنظيمات [١٥] .

ونلحظ هنا أن هذه الإجراءات والقرارات المبكرة التي اتخذها الملك عبدالعزيز لمعالجة الوضع الصحي السيء ركزت على منطقة الحجاز نظراً للحاجة الماسة إلى الاهتمام بأوضاع الحجاج ، رغم الظروف المالية والاقتصادية التي كان الملك عبدالعزيز يمر بها في تلك الفترة المبكرة ، ورغم اتساع نطاق الدولة السعودية ، وحاجة بقية المناطق إلى اهتمام مماثل . وانطلاقًا من ذلك التركيز

(١٣) أم القرى العدد ٦٣ (٢٧ شعبان ١٣٤٤هـ) ص ٣ .

(١٤) أم القرى العدد ٧٠ (٢٤ شوال ١٣٤٤هـ) ص ٣ .

(١٥) "بلاغ صحي من مديرية الصحةالعامة" أم القرى ، العدد ٧٤ (٢٣ من ذي القعدة ١٣٤٤هـ) ص٤.

بسبب أهمية الحج فإنه لم يتم ربط إدارات الصحة في منطقة نجد بمديرية الصحة العامة في الحجاز إلا في عام ١٣٥١هـ وذلك بعد أن تأسست القاعدة الخاصة بالنواحي الصحية في منطقة الحجاز .

ونظراً لافتقار المنطقة إلى إطار تنظيمي للأوضاع الصحية أصدر الملك عبدالعزيز العديد من الأنظمة والتشريعات الخاصة بالشؤون الصحية ومجالاتها المختلفة . وشهدت المملكة نتيجة لذلك خلال المدة من ١٣٤٦هـ - ١٣٥٥هـ ظهور تنظيمات كثيرة تتعلق بالتدابير الصحية من أجل تحسين النواحي الصحية في المنطقة . ومن أهم تلك الأنظمة ما يلي :

* نظام تسجيل المتوفين من الحجاج ١٣٤٦هـ .
* نظام الطبابة والصيادلة في الحجاز ١٣٤٧هـ .
* نظام الأطباء والمستخدمين بمديرية الصحة العامة والإسعاف والصيادلة وحكماء الأسنان والقوابل والموظفين ١٣٤٧هـ .
* نظام التطعيم ضد الجدري ١٣٤٧هـ .
* نظام تعاطي مهنة الحجامة ١٣٤٧هـ .
* نظام مهنة الصيدلة والصيدليات العمومية وتجار العقاقير والأدوية والسموم ١٣٤٩هـ .
* نظام تطعيم السل ١٣٤٩هـ .
* نظام شروط استخدام الموظفين الصحيين ١٣٥٠هـ .
* نظام الاحتياطات الصحية للوقاية من الأمراض المعدية ١٣٥٢هـ .
* نظام منع الاتجار بالمواد المخدرة ١٣٥٣هـ .
* نظام تعاطي مهنة الصيدلة ١٣٥٤هـ .

* نظام جمعية الإسعاف الخيري ١٣٥٤هـ .
* نظام الصحة البحرية ١٣٥٥هـ (١٦) .

ونلحظ من خلال استعراض هذه الأنظمة أنها صدرت في سنوات متقاربة مما يعكس وجود اهتمام ملحوظ بموضوع الصحة وتنظيمها إداريًا لتحقيق العديد من الأهداف المتعلقة بها في وقت قصير . كما نلحظ شمولية تلك الأنظمة لعدد من الجوانب الصحية مثل مسائل التطعيم والوقاية والشؤون الإدارية والتنظيم الخاص بالمهن الطبية وأنظمة الصحة عمومًا .

وإلى جانب السياسة التنظيمية للشؤون الصحية المتمثلة في إصدار الأنظمة والإجراءات نجد أن مسألة ترميم وبناء المستشفيات القديمة وبناء مستشفيات جديدة أخذت حيزاً من اهتمام الدولة السعودية . فلقد تم - على سبيل المثال - ترميم مستشفى أجياد بمكة المكرمة ومستشفى باب شريف بجدة، وبناء مستشفيات ومراكز صحية جديدة في الرياض وجدة وحائل والمدينة المنورة (١٧).

وكان من أهم جوانب التنظيم الإداري للشؤون الصحية في عهد الملك عبدالعزيز إنشاء وزارة خاصة للصحة في عام ١٣٧٠هـ وتعيين الأمير عبدالله الفيصل وزيراً للصحة إلى جانب عمله وزيراً للداخلية لأهمية الجانب الصحي . وأصبحت وزارة الصحة منطلقًا كبيراً لإنجاز المزيد من المشروعات الصحية (١٨).

---

(١٦) انظر مجموعة الأنظمة بصورة منظمة في رسالة الدكتوراه بعنوان : "تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز ١٣٤٣-١٣٧٣هـ" إبراهيم بن عويض العتيبي (جامعة الملك سعود ، ١٤١٢هـ) ص ج - ك. وقد نشرت الرسالة في مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ . الرياض .

(١٧) يوسف الحميدان ومحمد العيسى ، ص ٨ .

(١٨) المرجع السابق ، ص ١١ .

* الحجر الصحي

ركز الملك عبدالعزيز في سياسته الإصلاحية للأوضاع الصحية على مسألة الحجر الصحي التي كانت تمثل واحدة من التعقيدات السياسية الخارجية إلى جانب ارتباطها بالحج . فلقد اتسمت سياسة الملك عبدالعزيز تلك بالشمولية وفق تطوير المحاجر الصحية من جهة واستثمار المواقف الدبلوماسية من جهة أخرى لصالح موقفه (١٩) .

ففي عام ١٣٤٥هـ أصدر الملك عبدالعزيز أمره بفصل إدارة المحاجر الصحية (الكرنتينات) عن مديرية الصحة العامة لأهميتها ولإعطائها صفتها الاستقلالية حتى تتمكن من إدارة شؤونها (٢٠) . وتم على ضوء ذلك تكوين إدارة مركزية للمحاجر الصحية برئاسة الدكتور يحيى نصري وذلك للإشراف على جميع ما يتعلق بالحجر الصحي في منطقة الحجاز خصوصًا في جزيرتي أبوسعد والواسطة للقيام بوظيفتهما المحلية من معاينة ركاب السفن القادمين إلى جدة من الحجاج وغيرهم صحيًا .

ولأن مراكز الحجر الصحي في تلك الفترة المبكرة كانت ضعيفة من حيث الإمكانات ولم تكن مهيأة لتولي مسؤولية المراقبة الصحية بصفة كاملة فلقد عمل الملك عبدالعزيز على تطويرها وتجهيزها قدر الإمكان . وتضمن الاهتمام بمراكز الحجر الصحي امدادها بمعظم ما تحتاج إليه من خدمات طبية وصيدلية وأجهزة تقطير المياه ومباخر وحمامات وقاعات للحجر ومستشفيات

---

(١٩) كانت هناك ثلاث مناطق للحجر الصحي في منطقة الحجاز هي جزيرة أبو سعد وجزيرة الواسطة وجزيرة أم علي القريبة من مدينة جدة . وكانت جزيرة أبو سعد من أكبر تلك الجزر وأشهرها وتمثل المحجر الصحي الرئيس في عهد العثمانيين والأشراف .

(٢٠) أوامر ملكية ، ٣/١٣ /١٣٤٥هـ (وثائق معهد الإدارة العامة بالرياض ، أوامر ملكية ، د/١١) .

وصيدليات [٢١] . كما تضمنت الجهود في هذا الجانب تأسيس محاجر صحية جديدة في بعض الموانئ السعودية مثل ينبع ؛ لتسهيل مرور الحجاج مباشرة إلى المدينة المنورة . والمحجر الآخر الذي تم تأسيسه في عهد الملك عبدالعزيز هو محجر الوجه من أجل تخفيف حركة الملاحة على ميناء جدة وميناء ينبع . كماتم تأسيس مراكز صحية مساندة في كل من ضباء ورابغ والليث والقنفذة وجازان للإشراف على مسائل الحجر الصحي على ساحل البحر الأحمر [٢٢] .

ومن الجوانب الأخرى المتعلقة بتطوير الحجر الصحي في المملكة العربية السعودية في تلك الفترة ، تأسيس قسم خاص بالجراثيم في المستشفى الحكومي في جدة من أجل تدعيم وسائل الوقاية الصحية في المنطقة . ولقد تولى الإشراف على تأسيس قسم الجراثيم الدكتور الهولندي فاندر هوخ Vander Hoog الذي تعاقدت معه الحكومة السعودية للعمل في مستشفى باب مكة في جدة في عام ١٣٤٥هـ [٢٣] .

وامتدت الجهود في مجال تطوير الحجر الصحي كي تشمل الاستعانة بالخبرة الصحية الأوروبية من حيث الإشراف على مستشفيات جديدة تم إنشاؤها ، أو تقديم الاستشارة المتخصصة والمتقدمة في الشؤون الصحية للدولة السعودية . وانطلاقًا من تلك السياسة تعاقدت الحكومة السعودية مع عدد من الخبراء الأوروبيين في مجال الصحة ، مثل الدكتور الهولندي هوخ والدكتور

(٢١) فؤاد حمزة . البلاد العربية السعودية ، ص ٢١٥ .

(٢٢) المرجع السابق ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢٣) المرجع السابق ، ص ٢١٠ ؛ وانظر . Jeddah Report, October 1927, F.O. 371/ 12250 E 5088 - 644- 91 371/12250 .

الإنجليزي كوركيل ، والدكتور الإنجليزي لونجينوتو والدكتور مانيفون والمفتش الصحي جينكز [٢٤] .

ويعد الدكتور كوركيل N.L. Corkill [٢٥] من أهم الخبراء الصحيين الذين عملوا في المملكة العربية السعودية نظراً لتركيز مهمته ليس في مزاولة مهنة الطب الوقائي مثل غيره من الأطباء الأجانب في تلك الفترة ، وإنما في التخطيط لتطوير خدمات الحجر الصحي في المملكة بناء على مالديه من خبرة على المستوى الدولي . وتكشف لنا أوراق كوركيل الخاصة والمحفوظة في مركز الشرق الأوسط في كلية سانت انتوني بجامعة أكسفورد الكثير عن تطور عمله في المملكة من خلال تقاريره المختلفة حول مهمته .

بدأ كوركيل عمله في المملكة في صيف عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م الذي استمر لمدة عامين لمساعدة إدارة المحاجر الصحية (الكرنتينات) في تطوير نظامها الصحي وتحقيق المستوى المطلوب دوليًا . وبعدأربعة عشر شهراً من بداية عمله أوضح كوركيل في رسالة وجهها إلى وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان أن مستوى الخدمات الصحية في المملكة في عام ١٣٦٨هـ أصبح متطوراً ، خصوصًا في مجال الوقاية الصحية ، حيث تم تأسيس عدد من

---

(٢٤) National Archives - Washington, D.c. F. 12 A/ 7 - 2748 - July 27, 1984

(٢٥) الدكتور نورمان كوركيل Norman Lace Corkill (١٨٩٨ - ١٩٦٦م) خبير بريطاني في الشؤون الصحية عمل في العراق خلال المدة من١٩٢٧ - ١٩٣٠م ، ثم انتقل إلى العمل في السودان خلال المدة من ١٩٣٠ - ١٩٤٦م ، وعمل في المملكة العربية السعودية خلال المدة من ١٩٤٨ - ١٩٥٠م، ثم انتقل إلى العمل في منظمة الصحة العالمية .

Who is who 1961 - 1970 Vol. 6 (London : Adam and Charles Black . 1972) . P. 242 .

المحاجر الصحية على الساحلين الشرقي والغربي ، وبدأ استعمال المبيدات الحشرية ، وتحسنت الخدمة التشخيصية للأمراض في البلاد ، وتحسنت الترتيبات الخاصة بموسم الحج . وعلى الرغم من هذا التطور في الجوانب الصحية ، إلا أن كوركيل كان يرى أن الطريق إلى إيجاد نظام حجر صحي محلي مقبول دولياً لا يزال بحاجة إلى المزيد من العمل خلال تلك الفترة . وتضمنت رسالة كوركيل تلك عدداً من التوصيات ، مثل تعيين وزير للصحة يشرف على عملية تطوير الشؤون الصحية في البلاد ، وإلغاء إدارة المحاجر الصحية (الكرنتينات) وإسناد مهمة الإشراف على المحاجر إلى مديري صحة المناطق . كما تضمنت رسالة كوركيل مقترحات أخرى تشمل تأسيس نظام حديث للطب الوقائي ، وإصلاح نظام المستشفيات ، والاهتمام بمسألة تدريب الموظفين الفنيين والمرضين (٢٦) .

كما رفع كوركيل هذه التوصيات أيضاً إلى الملك عبدالعزيز في تقرير شامل حول ما تم عمله في مجال الحجر الصحي السعودي ، وما تبقى من الأعمال الأخرى الضرورية . ولقد كرر كوركيل في رسالته إلى الملك الاقتراحات السابقة التي أبداها في رسالته إلى وزير المالية ، مع إضافة اقتراح خاص بوضع ميزانية مستقلة للصحة العامة وزيادتها (٢٧) .

---

(٢٦) رسالة من الدكتور ن . كوركيل إلى الشيخ عبدالله السليمان ، ٢٣ / ١١ / ١٣٦٨هـ . (أوراق كوركيل الخاصة ، مركز الشرق الأوسط - كلية سانت انتوني ، جامعة أكسفورد -
Dr. N. L. Corkill Private Papers. (Middle East Center - St. Antony's College - Oxford University) .

(٢٧) رسالة من الدكتور ن . كوركيل إلى الملك عبدالعزيز في محرم ١٣٦٩هـ . (أوراق كوركيل الخاصة ، مركز الشرق الأوسط - كلية سانت انتوني ، جامعة أكسفورد -
(Dr. N. L. Corkill Private Papers) .

ويتضح من خلال هذه الرسائل أن كوركيل كان يتحدث عن تأسيس نظام حجر صحي ملائم وعلى مستوى رفيع يتطلب الخبرة التي كانت نادرة آنذاك والدعم المالي الذي لم يكن بمقدور الدولة السعودية في تلك الفترة المبكرة أن توفره في بداية تأسيسها وفي فترة وجيزة بسبب أوضاعها الاقتصادية . كما يتضح أن كوركيل ربط بين تحقيق هذا النظام وبين استمراره في العمل حيث قام بوضع شروط مهنية تتضمن توصياته السابقة التي قدمها إلى كل من الملك عبدالعزيز ووزير المالية وشروط شخصية تتعلق بالمكافأة والاختصاصات والارتباط الإداري (٢٨) . ويبدو أن تلك الشروط لم تكن مقبولة لدى الحكومة السعودية فقررت عدم تجديد عقد الدكتور كوركيل وأثنت على جهوده التي أسهمت في تطوير إدارة الحجر الصحي في المملكة (٢٩) .

وعلى الرغم من ذلك استمرت المملكة في سياستها العامة بشأن تطوير المحاجر الصحية الموجودة بها مع التركيز على المحجر الصحي في جدة وذلك من أجل الوصول به إلى مستوى مقبول دوليًا حتى يتم التخلص من نظام الحجر الصحي الدولي المفروض على الحجاج في الاتفاقية الصحية الدولية لعام ١٩٢٦م. ولقد تم تطوير محجر جدة الصحي كي يتضمن مستشفى عاماً ومستشفى عزل ومركزاً وقائيًا وأكثر من ١٥٠ مبنى أقيمت على حوالي ٢٢٩٠٠ متر مربع

---

(٢٨) رسالة من الدكتور ن . كوركيل إلى مدير الصحة ، ٧ / ٦ / ١٣٦٩هـ . (أوراق كوركيل الخاصة، مركز الشرق الأوسط - كلية سانت انتوني ، جامعة أكسفورد -
(Dr. N. L. Corkill Private Papers) .

(٢٩) رسالة من وكيل مدير الصحة العام إلى الدكتور ن . كوركيل ، ١٨ / ٨ / ١٣٦٩ رقم ٤٠٨٨ (أوراق كوركيل الخاصة ، مركز الشرق الأوسط ، جامعة أكسفورد - (Dr. N.L.Corkill Private Papers .

وبتكلفة تزيد على خمسة عشر مليون ريال . وتم افتتاح المحجر الصحي في جدة في ٢١ شعبان ١٣٧٥هـ بعد مضي فترة زمنية طويلة على إعداده وتهيئته (٣٠).

كما استعانت الحكومة السعودية بخبرة الدكتور الإنجليزي لونجينوتو Longinotto في إدارة مستشفى العيون في جدة في عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م وذلك لأهمية جانب الصحة البصرية التي كانت مهملة في السابق . ونتيجة لوجود الدكتور لونجينوتو ولدعم الحكومة السعودية حظي مستشفى جدة للعيون بالتطوير، خصوصًا فيما يتعلق بتوسعته وإمداده بالأجهزة والإمكانات الأخرى (٣١) . ويشير التقرير السنوي الثاني للدكتور لونجينوتو حول مستشفى طب العيون، إلى أن هناك انخفاضاً واضحاً في معدل حالات التراخوما في عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م وذلك لسببين - حسب رأيه - هما : تطور الأجهزة الطبية وتحسن مستوى المعيشة في المناطق المحلية (٣٢) كما وصل الدكتور د . سي . ديونير D.C . Deonier المتخصص في طب الحشرات في العام نفسه وذلك من أجل الإسهام في مكافحة الحشرات المسببة لبعض الأوبئة في المملكة العربية السعودية (٣٣) .

ولم تقتصر سياسة المملكة العربية السعودية تجاه تطوير الأوضاع الصحية على إنجاز المشروعات والبرامج والاستعانة بالخبراء الصحيين فحسب، وإنما

(٣٠) عبدالقدوس الأنصاري . موسوعة تاريخ مدينة جدة ، الجزء الأول (جدة : مطابع النهضة ، د . ت .) ص ١٣٤ - ١٣٦) .

(٣١) F.O . 371 / 62081 E 547 - 158 - 25

(٣٢) . National Archives - Washington D. C. 890 F. 1218 - 2549

(٣٣) Letter From the Legation of the U. S. - Jidda - August 6, 1947 , to the Secretary of State, NationalArchives - Washington , D. C . 890 F . 12/18 - 647 .

شملت أيضًا ممارسة الوظيفة الدبلوماسية على المستوى الدولي لإقناع الدول الأوروبية باستعداد المملكة لتولي المسؤولية الكاملة من حيث الإشراف على الشؤون الصحية المتعلقة بالحج خصوصًا الحجر الصحي نتيجة لتحسن الخدمات والإمكانات الصحية .

ثالثًا : موقف الملك عبدالعزيز من الحجر الصحي الدولي

سبق أن أشرنا في بداية هذه الدراسة أن المؤتمرات الصحية الدولية انتهت في عام ١٩٢٦م بتوقيع الاتفاقية الصحية الدولية التي تضمنت قسمًا خاصًا بأنظمة الحجر الصحي على الحج ، تم من خلاله تقييد جميع الحجاج القادمين لأداء فريضة الحج بعدد من الإجراءات الصحية الرامية إلى الكشف عن حالات الأوبئة والأمراض قبل انتشارها . وواكب توقيع تلك الاتفاقية حدوث تطور سياسي جديد في منطقة الحجاز التي أصبحت في تلك السنة جزءًا من الدولة السعودية الجديدة تحت حكم الملك عبدالعزيز الذي أصبح من جراء ذلك طرفًا مباشرًا في مسألة تنظيمات الحجر الصحي الدولي التي تتعلق بالمنطقة . وبدأت ترتيبات إحاطة الملك عبدالعزيز بتلك التنظيمات بواسطة الدكتور محمد بك صالح، مندوب مصلحة الكرنتينات العامة للحكومة المصرية ، الذي وصل إلى جدة مباشرة بعد استسلامها لكي يقدم للملك عبدالعزيز صورة من جميع الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالحجر الصحي (٣٤) .

والتطور الآخر في هذا الجانب انعكس في دعوة الحكومة الفرنسية الملك عبدالعزيز في العام نفسه للمشاركة في المؤتمر الصحي الدولي في باريس (٣٥).

---

(٣٤) أم القرى ، العدد ٥٦ (١٢/٩/١٣٤٤هـ) ، ص ٣ .

(٣٥) Jeddah Report, February 1926. F. O. 371/1142 E1919- 367 - 91.

وعلى الرغم من أن الملك عبدالعزيز أوفد طبيبه الخاص والمسؤول عن الصحة العامة في الحجاز الدكتور محمود حمدي حمودة ، إلا أنه اتخذ موقفًا معارضًا للإجراءات الصحية الدولية التي تم الاتفاق عليها في عام ١٩٢٦م [٣٦] . ولقد اتضح موقف الحكومة السعودية من تلك الإجراءات الدولية عندما وقع الممثل السعودي في مؤتمر الصحة الدولي في باريس على الاتفاقية ، مع تسجيل الكثير من التحفظات على بعض البنود الخاصة بمراقبة الحالة الصحية بين الحجاج القادمين إلى الحجاز والمسافرين منه [٣٧]. ويأتي رفض الحكومة السعودية للبنود الخاصة بالحجر الصحي على الحجاج نتيجة - على ما يبدو - لإدراكها بأن تلك البنود كانت غير عادلة ولم تشمل سوى منطقة الحجاز [٣٨] .

وتعكس تقارير الحج للأعوام ١٩٢٧م و١٩٢٨م و١٩٢٩م تحسن الأوضاع الصحية وذلك لعدم وجود أي أمراض وبائية أثناء موسم الحج . إلا أنه في عام ١٩٣٠م اعترضت الحكومة السعودية على ما ورد في تقريرين لإدارة المحاجر الصحية في الطور ومصوع من وجود حالتي كوليرا بين الحجاج الذين غادروا الحجاز عن طريق الطور ومصوع . ووقفت الحكومة السعودية موقفًا متشدداً من تلك التقارير وأرسلت احتجاجًا رسميًا إلى المكتب الصحي في باريس مع مذكرة تتضمن الأدلة التي تؤكد موقفها وبيان موقع من حوالي ستة وعشرين طبيبًا لإثبات عدم وجود حالات كوليرا في الحجاز أثناء تلك الفترة بخلاف ما

(٣٦) أم القرى العدد ٦٩ (١٧ شوال ١٣٤٤هـ) ، ص ٢ .
(٣٧) فؤاد حمزة . البلاد العربية السعودية ، ص٢١١ .
(٣٨) المرجع نفسه .

أشارت إليه إدارة الحجر الصحي الدولي التي ربما كانت تهدف إلى إثبات الحاجة إلى الاستمرار في تطبيق الإجراءات الصحية الدولية أثناء موسم الحج (٣٩) .

ويتناقض ما أشارت إليه إدارة المحاجر الصحية الدولية مع ما ورد في تقارير الممثل البريطاني في جدة - السير أندرو ريان - بشأن الأوضاع الصحية أثناء الحج التي أشاد فيها بتحسن الأوضاع الصحية في المملكة وبدور الملك عبدالعزيز في تطويرها . كما أشار السير أندرو ريان في عام ١٩٣١م إلى أن الحجاز شهد تحسنًا ملحوظًا في أوضاعه الصحية في السنوات الأخيرة وذلك نتيجة لسياسة الملك عبدالعزيز . كما أكد على خلو موسم الحج لعام ١٩٣٠م من أي أوبئة أو أمراض تذكر وأشار إلى أن تنظيم الشؤون الصحية ليس سهلاً ويحتاج إلى وقت وخبراء وأجهزة (٤٠) .

وفي تقرير للجنة التحقيق في شؤون الحج Haj Inquiry Committee التي أسستها حكومة الهند البريطانية في عام ١٩٢٩م لتقوم بالتحقق من الخدمات التي يتم تقديمها إلى الحجاج المغادرين من موانئ الهند، نلحظ أن الخدمات الصحية التي كانت تقدم للحجاج في مواطنهم خصوصًا الهند لم تكن على المستوى المطلوب . كما نلحظ أن الحجاج كانوا يواجهون بعض الصعوبات أثناء مرورهم بالمحجر الصحي الدولي في كمران بسبب الإجراءات الكثيرة التي لم يكن لها حاجة خصوصًا في بعض الحالات (٤١) . ونتيجة لذلك قامت الحكومة السعودية بإبلاغ الحكومة الفرنسية في مذكرة رسمية بعدم ارتياحها

---

(٣٩) Jeddah Report. June 1930. F.O. 371 / 14460 E4059 / 92/91.

(٤٠) رسالة من السفير البريطاني في جدة ١٩٣١م. F.O. 371/15290/E 1036 100/25.

(٤١) Report of the Inquiry Cmmittee (Calcutta : Government of India, 1930).

لموقف بعض الدول من الحجاج العائدين الذين كانوا يواجهون إزعاجًا كبيراً باسم المراقبة الصحية [٤٢] .

ونتيجة لما عانت منه الحكومة السعودية من صعوبات من أجل إيصال وجهة نظرها إلى المكتب الصحي الدولي حول الإجراءات الصحية الدولية في منطقة الحجاز ، اتجه الملك عبدالعزيز نحو سياسة المشاركة المباشرة في تلك الهيئة الصحية الدولية في باريس . ففي عام ١٩٣٠م تقدمت الحكومة السعودية بطلب رسمي للانضمام إلى عضوية مكتب الصحة الدولي في باريس ولكن لم يصلها إجابة رسمية، والسبب في رأي يوسف ياسين ربما كان يعود إلى عدم مصادقة الحكومة السعودية على اتفاقية عام ١٩٢٦م بصورة كاملة [٤٣] . ونظراً لأن الانضمام إلى المكتب الصحي الدولي في باريس كان يتطلب مخاطبة الدولة التي تم إنشاء المكتب فيها وهي إيطاليا فلقد أرسل فؤاد حمزة - وزير الخارجية بالنيابة - رسالة إلى القائم بالأعمال الإيطالي في جدة في ١٣ من رمضان ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م يبلغه فيها بقرار الحكومة السعودية للانضمام إلى عضوية المكتب الصحي الدولي بناء على المادة السادسة من اتفاقية روما في عام ١٩٠٧م والخاصة بإنشاء المكتب الصحي الدولي في باريس [٤٤] .

---

(٤٢) . F.O. 371/15290/E1036 / 100/25

(٤٣) المصدر السابق .

(٤٤) رسالة من فؤاد حمزة إلى القائم بالأعمال الإيطالي في جدة الكومنداتوري سوللاتو ، ١٣ رمضان ١٣٥٠هـ (أوراق القنصلية الفرنسية في جدة Consulat de France a Djeddah - Les Archives Diplomatiques de Nantes - Cartoon No. 15.P. 20 .
الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي - نانت) .

ومنذ أن أصبحت عضواً في مكتب الصحة الدولي اتخذت المملكة العربية السعودية العديد من الترتيبات اللازمة لعرض رأيها وموقفها من الاتفاقية الصحية الدولية المفروضة عليها بهدف إقناع الأعضاء في المؤتمرات الصحية الدولية للموافقة على تعديل بنود الاتفاقية التي تتعلق بالحج (٤٥) . وفي عام ١٣٥٣هـ أصدرت الحكومة السعودية بلاغًا رسميًا بشأن الموافقة على اتفاقية عام ١٩٢٦م الدولية ، وقبول تطبيقها في المملكة باستثناء حوالي ١٨ مادة تتعلق بالحج التي تحتفظ الحكومة بحقوقها ورأيها فيها (٤٦) .

وواصلت الحكومة السعودية مطالبتها بإلغاء الترتيبات الصحية الدولية على الحج بواسطة الصحف المحلية والقنوات الدبلوماسية . ففي عام ١٩٣٥م نشرت جريدة أم القرى مقالاً بعنوان "نداء إلى الصحف الإسلامية" تضمن المطالبة بإلغاء القيود الصحية التي سببت إزعاجًا كبيراً للحجاج ، وذلك من منطلق تطور الأوضاع الصحية في الحجاز التي أدت إلى نظافة مواسم الحج الماضية من أي أوبئة (٤٧) . كما وزعت وزارة الخارجية بيانًا منشوراً بتوقيع الأمير فيصل على البعثات الدبلوماسية في جدة في ٢٣ من محرم ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م تضمن تقريراً عن الإجراءات الصحية التي اتخذتها الحكومة السعودية في الحجاز ، وما أدت إليه من تطور في الوضع الصحي ، والتقليل من انتشار الأمراض والأوبئة . ويبدو أن الهدف من ذلك المنشور الرسمي هو إيصال وجهة

(٤٥) فؤاد حمزة . البلاد العربية السعودية ، ص٢١٢ .

(٤٦) خير الدين الزركلي . شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز . (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٩٧) ط٢ ، الجزء ٢ ، ص ٧٢٤ - ٧٢٥ .

(٤٧) أم القرى العدد ، ٥٤٠ (١٥ محرم ١٣٥٤) ، ص ١ .

النظر السعودية إلى حكومات الدول الأعضاء في المكتب الصحي الدولي بشأن إلغاء القيود الصحية الدولية على منطقة الحجاز (٤٨) .

وجاء التقرير الرسمي الذي أصدرته الهيئة الصحية البحرية والحجر الصحي في مصر في عام ١٩٣٦م بشأن الحج لعام ١٣٥٤هـ تأكيداً لتحسن الأوضاع الصحية في المملكة حيث أشار إلى أن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة السعودية تتفق مع مواصفات وضوابط الاتفاقية الصحية الدولية لعام ١٩٢٦م (٤٩) . وعلى الرغم من إيجابية تلك التقارير إلا أن الدول الغربية أصرت على استمرار الإجراءات الصحية الدولية على الحج .

وفي مجال آخر أكد مدير الصحة العام الدكتور محمود حمودة من خلال سلسلة تقارير صحية متعددة على تطور الوضع الصحي في المملكة وطالب بضرورة قبول طلب الحكومة السعودية بتولي مسؤولية الحجر الصحي أثناء الحج (٥٠) وأشارت جريدة أم القرى الرسمية إلى أن الدكتور حمودة صرح بعد مشاركته في اجتماع مكتب الصحة الدولي في باريس بأن المكتب اقتنع بأن الوضع الصحي في المملكة قد تحسن بصورة جيدة نتيجة لسياسة الملك عبدالعزيز . كما أشار التصريح الذي نقلته الصحيفة من جريدة سورية في دمشق إلى أن المكتب الصحي الدولي عبر عن اقتناعه أيضًا بعدم الحاجة إلى مواقع الحجر الصحي

(٤٨) F.O. 371 / 19002 / E3619. Records of the Hajj Vol. 9.PP. 645-650.

(٤٩) Conseil Sanitaire Maritime et Quarantenaire D'Egypt. Rapport Sur le Pelerinage au Hedjaz de L'annee del'hegaire 1854 A. D. 1986 (Alexandria: Societe de Publications Egyptiennes 1936).

(٥٠) "Health Services in Saudi Arabia" F.O. 371 / 20840 Records of the Hajj Vol. 9. PP. 663 - 665 .

خارج منطقة الحجاز نتيجة لتحسن الأوضاع الصحية في المملكة (٥١) . ولقد شكك الممثل البريطاني في جدة في تقريره الشهري إلى وزارة الخارجية بلندن في صحة تصريح الدكتور حمودة بشأن رأي مكتب الصحة الدولي في عدم الحاجة إلى أماكن الحجر الصحي الدولي خارج الحجاز (٥٢) .

ويبدو أن ما أشار إليه الدكتور حمودة بشأن رأي مكتب الصحة الدولي في الحجر الصحي على الحجاز كان مجرد تعبير غير رسمي عن بدايات الاقتناع بالموقف السعودي لدى المكتب .

وفي محاولة لإثبات عدم التزام الدول الأخرى بالإجراءات الصحية المنصوص عليها في الاتفاقية الدولية قام الدكتور محمود حمودة بتفتيش إحدى سفن الحجاج البريطانية القادمة من الهند في عام ١٩٣٧م واختار واحداً من الحجاج للتأكد من حصوله على التطعيمات اللازمة فوجد أنه لم يتلق تطعيم التيفوئيد . ويبدو أن نتائج ذلك التفتيش زادت من موقف المملكة تجاه الإجراءات الصحية الدولية خصوصًا من ناحية ما عكسته من دقة الإجراءات في المملكة وقصور في مراكز الحجر الصحي الدولية (٥٣) .

ويبدو أن سياسة المملكة الدبلوماسية تجاه الاتفاقية الدولية التي دعمتها الجهود الأخرى التي بذلت من أجل تطوير النواحي الصحية في المملكة أقنعت الدول الأعضاء بضرورة إجراء تعديل طفيف في بعض بنود تلك الاتفاقية . ففي عام ١٣٥٧هـ تم إجراء بعض التعديلات على اتفاقية ١٩٢٦م مثل نقل

---

(٥١) أم القرى العدد ٦٢٧ (٢٧ رمضان ١٣٥٥) ، ص٣ .

(٥٢) Jeddah Report, December 1936. Records of the Hajj Vol.9 P. 687.

(٥٣) Jeddah Report, January 1937. Records of the Hajj Vol. 9. P. 688.

اختصاصات مجلس الصحة البحرية والكرنتينات إلى الحكومة المصرية ، وتخويل الحكومة السعودية بإرسال تقاريرها الرسمية المتعلقة بالحالة الصحية في أراضيها مباشرة إلى المكتب الصحي الدولي في جنيف . كما تم تخفيض مدة الحجر الصحي في كمران من ٤٨ ساعة إلى ٢٤ ساعة ، وفي الطور من ٧٢ ساعة إلى ٢٤ ساعة [٥٤] .

وتعد تلك التعديلات اليسيرة التي تم إجراؤها على الاتفاقية الصحية الدولية خطوة أولى في الطريق إلى التخلص نهائيًا من الحجر الصحي الدولي على الحج . كما نتج عن تلك التعديلات التخفيف من تطبيق الإجراءات الصحية الدولية مثل إعطاء سفن الحجاج الإذن بعبور كمران دون توقف أو الخضوع للإجراءات الصحية الدولية المعتادة [٥٥] .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية طرأت تغييرات في مجال التنظيم الصحي الدولي نتج عنها إلغاء مكتب الصحة الدولي في باريس وتأسيس المنظمة الصحية العالمية في نيويورك في عام ١٣٦٥هـ التي نقل مقرها الرئيسي إلى جنيف في عام ١٩٤٨م . ولم تكن المملكة العربية السعودية بمعزل عن تلك التطورات الدولية حيث شاركت في عضوية المنظمة الجديدة مع الاستمرار في إبداء اعتراضها مجدداً على بنود الاتفاقية الصحية الدولية التي عقدت في عام ١٩٢٦م . كما شاركت المملكة في المؤتمر الصحي الدولي الذي عقد في العام نفسه في باريس حيث قدم مندوبها خير الدين الزركلي تقريراً شاملاً عن الجهود الصحية التي بذلتها الحكومة السعودية وما نتج عنها من

---

(٥٤) الزركلي . شبه الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص٧٢٥ .

(٥٥) Jeddah Report, February 1939. Records of the Hajj Vol . 9. P 689.

تطور وتحسن في الأوضاع الصحية في أراضيها خصوصاً في منطقة الحجاز وأثناء موسم الحج ، كما طالب الزركلي المنظمة الصحية الدولية اعتبار الحكومة السعودية مسؤولة عن الإجراءات الصحية أثناء موسم الحج وإلغاء المحاجر الصحية في الطور وكمران التي فرضتها الاتفاقية الدولية السابقة (٥٦) .

وتقدمت الحكومة المصرية في الاجتماع نفسه بطلب يتمثل في نقل المحجر الصحي الموجود في الطور الذي تشرف عليه بناء على الاتفاقية الصحية الدولية إلى جزيرة (أبو سعد) بالقرب من جدة لإدراكها بأن تلك الجزيرة كانت مهيأة لأغراض الحجر الصحي بعد قيام الحكومة السعودية بتجهيزها (٥٧) . وعلى الرغم من ذلك أصرت بعض الدول الغربية على استمرار تطبيق الإجراءات الدولية المتفق عليها في عام ١٩٢٦م دون اعتبار لموقف كل من الحكومتين السعودية والمصرية . إلا أنه في عام ١٩٤٧م وبناء على مطالبة الحكومة السعودية المستمرة بإلغاء البنود الخاصة بالحج في الاتفاقية الدولية للصحة في عام ١٩٢٦م تم تكوين هيئة خبراء دولية للنظر في الموضوع تحت إشراف لجنة الحجر الصحي والأمراض المعدية التابعة لمنظمة الصحة العالمية .

عقدت تلك الهيئة اجتماعاتها في الإسكندرية في أبريل ١٩٤٧م برئاسة الدكتور مورجان Morgan ممثلاً لبريطانيا ، وعضوية كل من الدكتور جاود Gaud ممثلاً لفرنسا ، والدكتور فان لوغيم Van Loghem ممثلاً لهولندا ، والمقدم ماني Mani ممثلاً لحكومة الهند ، والدكتور وصفي عمر ممثلاً لمصر ، والدكتور يحيى ممثلاً للمملكة العربية السعودية، والدكتور ستيورات Stuart،

(٥٦) الزركلي . شبه الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص ٧٢٦ .

(٥٧) Records of the Hajj Vol. 9. PP. 730 - 731 .

والدكتور ديبرانسيون Debrancion ممثلين للجنة المؤقتة . كما تم إضافة ثلاثة خبراء إلى الاجتماع هم يوسف ياسين عن المملكة العربية السعودية ، والدكتور بريدي Pridie المستشار الصحي في الممثلية البريطانية في القاهرة، والدكتور خليل بيه من وزارة الصحة المصرية [٥٨] .

وحينما علم الملك عبدالعزيز بتكوين تلك الهيئة قدم لها دعوة لزيارة مدينة جدة من أجل الاطلاع على التجهيزات الصحية في الأراضي السعودية حتى تتضح الصورة لدى أعضائها وبناء توصياتهم على المشاهدة المباشرة . وبعد أن تداول الأعضاء موضوع بنود الحج في الاتفاقية الدولية والأوضاع الصحية في المملكة العربية السعودية توصلوا إلى عدد من التوصيات من أهمها :

أولاً : تعميم التطعيم على جميع الدول التي يغادر منها الحجاج دون استثناء.

ثانيًا : عدم مطالبة السفن القادمة من جنوب البحر الأحمر والمارة بجزيرة كمران بإنزال الحجاج إذا ثبت أنها نظيفة من خلال التفتيش الذي يتم على متنها . وإذا تم تجهيز المحجر الصحي في جدة بالصورة المناسبة فإنه يمكن النظر في إلغاء محجر كمران .

ثالثًا : اعتبار المحجر الصحي في جدة مناسبًا شريطة استكمال بعض الأجهزة .

رابعًا : مساعدة المملكة في تطوير خدمات الحجر الصحي [٥٩] .

(٥٨) From Dr. M. T. Morgan to Eastern Department. May 2. 1947. F.O. 371 / 62089 / E4527. Records othe Hajj Vol. 9. PP. 752 - 758.

(٥٩) المصدر السابق .

أدت هذه التوصيات إلى دعم موقف المملكة العربية السعودية في مسألة الحجر الصحي ورغبتها في إلغاء المحاجر الصحية الخارجية . كما دفعت هذه التوصيات الحكومة السعودية للتعبير عن موقفها تجاه البنود الخاصة بالحج في الاتفاقية الصحية الدولية أثناء انعقاد الدورة الأولى لمنظمة الصحة العالمية في جنيف بصورة أقوى من السابق . ومن نتائج تلك المحاولات إصدار قرار يقضي بدمج البنود الخاصة بالحج التي كانت مستقلة في الجزء الثالث من اتفاقية عام ١٩٢٦م في الفصول الخاصة بمشروع النظام الصحي العالمي [٦٠].

وفي عام ١٣٧٢هـ بدأ المحجر الصحي في جدة - ولأول مرة - يقوم بتنفيذ الإجراءات الصحية التي كان محجر كمران يؤديها في السابق [٦١] . وفي العام التالي تم استكمال تجهيز المحجر الصحي في جدة ليفي بأعباء ومسؤوليات الإشراف الصحي الوقائي [٦٢]. وخلال السنوات الثلاث التي تلت ذلك ركزت الحكومة السعودية على تطوير خدمات الحجر الصحي كي تتمكن من إقناع المنظمة الصحية الدولية بإعطاء المسؤولية الكاملة للمملكة وإلغاء الإجراءات الدولية.

وفي عام ١٣٧٦هـ وصل وفد منظمة الصحة العالمية المكون من أربعة خبراء إلى المملكة العربية السعودية لتفتيش تجهيزاتها وإجراءاتها الصحية خصوصًا المحجر الصحي في جدة ، وقدم تقريراً شاملاً بشأن ذلك إلى اللجنة الدولية لشؤون الحجر الصحي التابعة للمنظمة أيد فيه طلب الحكومة السعودية بإلغاء الإجراءات الدولية . وفي اجتماعها التاسع في العام نفسه قررت المنظمة

---

(٦٠) الزركلي . شبه الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص٧٢٨ .

(٦١) F.O. 371 / 98848 / E51781 / 26

(٦٢) F.O. 371/104884 / ES 1781 / 33

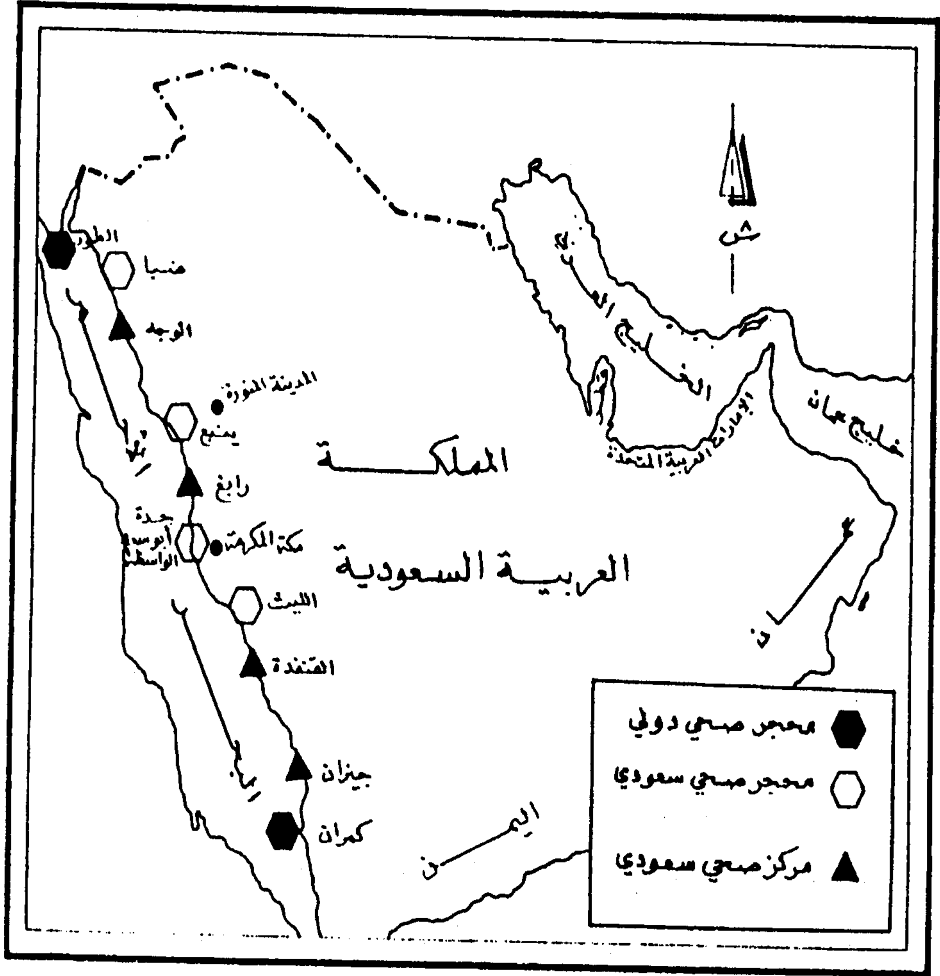
الصحية العالمية إلغاء الإجراءات الصحية الدولية التي فرضت على الحج في الاتفاقية الصحية الدولية لعام ١٩٢٦م وأعطت المملكة العربية السعودية المسؤولية الكاملة للإشراف على الترتيبات الصحية والحجر الصحي المتعلقة بها وبالحج أيضًا [٦٣] .

وهكذا نلحظ أن جهود الملك عبدالعزيز الرامية إلى إلغاء الإجراءات الصحية الدولية المفروضة على المملكة منذ عام ١٣٤٤هـ أدت إلى تحقيق أهدافها في بداية عهد الملك سعود ، أي بعد حوالي ثلاث سنوات من وفاة الملك عبدالعزيز . ولقد تخللت تلك الجهود اتخاذ الإجراءات التنظيمية والإدارية وتطوير المؤسسات الصحية وبناء المحاجر الصحية الحديثة . كما استخدم الملك عبدالعزيز السياسة الدبلوماسية مع الدول الأعضاء في مكتب الصحة الدولي ومنظمة الصحة العالمية لإقناعها بتعديل بنود الاتفاقية الصحية الدولية وإلغاء ما يتعلق بالحجر الصحي على الحج الذي سبب إزعاجًا للحجاج وللدولة التي لم تقبل بإشراف دولي على شؤونها الداخلية . ويأتي قرار منظمة الصحة العالمية في عام ١٣٧٦هـ بإلغاء الإجراءات الصحية الدولية على الحج نتيجة مباشرة لتلك الجهود التي بذلها الملك عبدالعزيز واستغرقت أكثر من ثلاثين عامًا . كما نلاحظ من خلال تطور مسألة الحجر الصحي الدولي على الحج وسياسة الملك عبدالعزيز لمواجهتها أن تلك الجهود التي بذلت أثرت تأثيراً مباشراً وكبيراً في تطور الأوضاع الصحية في المملكة العربية السعودية .

---

(٦٣) National Archives - Washington D.C. 886A / 413/ 6- 956 .

ملحق (١)



المحاجر والمراكز الصحية في البحر الأحمر

ملحق (٢) *

١٣ رمضان ١٣٥٠
٢١ يناير ١٩٣٢

حضرة الكومندا نوري

ان المادة السادسة من الاتفاقية الدولية الموقع عليها في رومة في ٩ ديسمبر ١٩٠٧ والخاصة بانشاء المكتب الصحي الدولي في باريس تنص كما يلي [.. الحكومات التي لم توقع هذه الاتفاقية الحاضرة يقبل انضمامها الى الاتفاقية هذه – عند الطلب ويبلغ هذا الانضمام الى الحكومة الايطالية بالطريقة السياسية وهذه تبلغها بدورها الى الحكومات الاخرى المتعاقدة . ويكون من مقتضى الانضمام ان تتعهد الحكومة الراغبة بالاشتراك في مصاريف المكتب بدفع مبلغ بموجب – الشروط المبينة في المادة الثالثة]

فعملا بالنص الذي نقلته اعلاه اتشرف بان ابلغ الى حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك ايطاليا رغبة حكومة جلالة الملك في الانضمام الى الاتفاقية السالفة الذكر راجيا التفضل باتخاذ التدابير اللازمة لابلاغ ذلك الانضمام الى الحكومات الاخرى الموقعة على الاتفاقية او المنضمة اليها لكي تتمكن حكومتي من الاشتراك في الوقت المناسب في اعمال المكتب الصحي الدولي في باريس

ويسرني ان اعلمكم ايضا بان حكومة جلالة الملك ترغب ان تشترك في نفقات المكتب المشار اليه في الدرجة السادسة الوارد ذكرها في المادة الحادية عشر من الدستور الاضافي للاتفاقية المشار اليها . اكون ممتنا ان تفضلتم في القريب العاجل باخطاري عن حصول التبليغ اللازم الى الحكومات المختلفة

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام



التوقيع فؤاد حمزة
عن وزير الخارجية

حضرة الكمندا توري سوللاتسو المحترم
القائم باعمال ايطاليا
جدة

* (رسالة من فؤاد حمزة إلى القنصل الإيطالي في جدة - ١٣ رمضان ١٣٥٠هـ)
- المصدر : أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية نانت أوراق القنصلية الفرنسية بجدة .

ملحق (٣) *

المملكة العربية السعودية
مصلحة الصحة العامة والاسعاف
صـــادر
٢٠٨٨

الرقم .. ___
التاريخ . ___
المرفقات ___

الموضوع ___

حضرة الفاضل الدكتور (ن ٠ل ٠ كوركيل) المحترم
بواسطة مدير الكورنتينات

بعد التحية —

رفعنا الى المراجع كتابكم عدد (ن ك /٢٤٤/٦٩) وتاريخ ١٤ ابريل ١٩٥٠ الذى تبدون فيه رغبتكم فى عدم تجديد عقد الاستخدام فورد لنا الامر السامى رقم ٥٥١٥ فى ١٠ /٨/ ٦٩ بالموافقة على عدم تجديد عقد استخدامكم كرغبتكم واننا اذ نبلغكم ذلك نثنى على الجهود التى بذلتموها فى عملكم —

والله يرعاكم

فى ١٨/٨/١٣٦٩

وكيل مدير الصحة العام

م ت

Approval of the Viceroy has been received for terminating the [redacted] employment contract according to Dr. Corkill(s wish.

File
ع.م.ج.

* (رسالة من وكيل مدير الصحة العام إلى الدكتور كوركيل ١٨ شعبان ١٣٦٩هـ) .
- المصدر : أوراق كوركيل الخاصة ، مركز الشرق الأوسط ، كلية سانت انتوني ، جامعة أكسفورد .

مصادر ومراجع البحث

الوثائق :

* وثائق معهد الإدارة العامة بالرياض ، ملف أوامر ملكية .
* أوراق كوركيل الخاصة ، مركز الشرق الأوسط - كلية سانت انتوني ، جامعة أكسفورد Dr. N.L. Corkill Private Papers - Middle East Center, St. Antony's College, Oxford University.
* أوراق القنصلية الفرنسية في جدة المحفوظة في أرشيف نانت - فرنسا Cunsulat de France a Djeddah - Les Archives Diplomatiques de Nantes.
* سجلات الحج Rescords ofthe Hajj : A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca (makkah) Vol.9 (Archive Editions 1993) .
* وثائق وزارة الخارجية البريطانية Foreign Office, Public Records Office - London.
* وثائق الأرشيف الوطني - واشنطن دي . سي . الولايات المتحدة National Archives - Washington D.C.
* جريدة أم القرى .

المراجع العربية والأجنبية :

* الأنصاري ، عبدالقدوس . موسوعة تاريخ مدينة جدة الجزء الأول (جدة : مطابع النهضة ، د . ت) .
* حمزة، فؤاد. البلاد العربية السعودية (الرياض : مكتبة النصر ، ١٣٨٨هـ).

* الحميدان ، يوسف بن عبدالله ، ومحمد بن أحمد العيسى . "الإنجازات الصحية في عهد الملك عبدالعزيز من عام ١٣١٩هـ - ١٣٧٣هـ" بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٦هـ .
* الزركلي ، خير الدين . شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز (بيروت: دار العلم للملايين ١٣٩٧هـ) ط٢ .
* العتيبي ، إبراهيم بن عويض . "تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز ١٣٤٣ - ١٣٧٣هـ" (رسالة دكتوراه ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٢هـ) .
* مغربي ، محمد علي . ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة (جدة : دار العلم للطباعة ، ط٢) .
* نصيف ، حسين محمد . تاريخ الحجاز (جدة : د . ن . ١٣٤٩هـ) .
* دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الأول : مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثاني ، ص١٨٣ - ١٩٥ (القسم الإنجليزي) الرياض : جامعة الرياض ، ١٣٩٩هـ .

Conseil Sanitaire Maritime et Quarantenaire D'Egypt. Rapport Sur le Pelerinage au Hedjaz de L'annee del'hegaire 1354 A.D. 1936 (Alexandria: Societe de Publications Egyptiennes, 1936) .

Long, David E. "International Health Aspects of the Hajj" .

Report of the Haj Inquiry Committee (Calcutta: Government of India, 1930) .

Who is who 1961- 1970 Vol. 6 (London : Adam and Char les Black, 1972) .